Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعزف على ألحان أو بحور اعتمدوها . أما الشعراء فهم يريدون لعمليات الإبداع أن تتحرر من كل قيد سالف يحدّ من حرية الشاعر المبدع . إلا إذا كان الشاعر متعاطفاً مع هذا القيد ، فإنه حينئذ يتحول إلى تنظيم ضروري لازم لعملية الإبداع ونابع منها .

لم يكن من حق العروضيين أن يقفوا هذه الوقفة المعيارية ، وكان عليهم أن يلتزموا المنهج الوصفي، الذي يحتم عليهم جمع المادة الشعرية من الرواة والدواوين، ثم التثبت والتحقق من صحة نسبتها إلى شعرائها ، ثم النظر في البحور التي شاعت بين الشعراء وصارت مشتركة ، والتأصيل لهذه البحور ، باعتبارها حصيلة ما أسفرت عنه محاولات الشعراء على امتداد السنين ، محاولاتهم تنغيم التجارب الشعرية ، ثم كان عليهم أن يتركوا باب التجديد مفتوحاً لأية محاولة ، وكلما أسفرت حركة تجديدية عن قيم موسيقية جديدة أصّلوها وقعّدوها، وأضافوها إلى الرصيد العربي في موسيقا الشعر .

وبدهي أن المحاولات الفعلية لشعراء الجاهلية كانت أكثر بكثير من الستة عشرة التي أسفرت عن بحور معروفة ، ولكن لم يكتب للكثير منها الانتشار والبقاء ، ومن ثم وجب ألا نلتفت اليها عند تأصيل الأصول العامة للشعر العربي ويجب النظر إلى تلك المحاولات على أنها محاولات فردية لم يحالفها الحظ ، أو لم تمكّن لها الأذواق العربية فرصة الانتشار ، وأولى بها أن تدرس فيما يجب أن نسميه منذ الآن تاريخ موسيقا الشعر مثلاً .

وهذا المنهج الوصفي هو ما لم يلتزمه العروضيون العرب، إذ لم يكتفوا بوقفتهم المعيارية السابقة، بل كانوا أيضاً يكتفون بالبيت الشاذّ المجهول النسبة إلى قائله، فيقيمون عليه قواعد ويؤصلون عليه أصولاً ، بل كان ثمة ما هو أدهى وأمرّ ، إذ لم يخلُ علمهم من شواهد صنعوها بأنفسهم حتى تستقيم لهم القاعدة كما تصوروها بعقولهم ، من خلال منهجهم المعياري المنطقي الجاف ، ولهذا أصبح علم العروض معقداً رهيباً ، لا يجرؤ على التصدي له إلا ذوو الجَلَد من المثقفين المتخصصين.